﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾

[البقرة: 130]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن بيَّنَ اللّهُ ﷻ فضائلَ إبراهيم عليه السلام وعدّد جملةً من أدعيته؛ أوضح في هذه الآية أنّه لا يُخالف دعوةَ إبراهيم عليه السلام ولا يزيغُ عنها إلّا سفيهُ العقل مأفون الرّأي، وبَيّنَ سبحانه أنَّ عبده إبراهيم عليه السلام من المُصْطَفَيْنَ الأخيارِ في الدّنيا، وهو في الآخرة من الصّالحين المُنَعَّمينَ في جنّات النّعيم.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿يَرۡغَبُ﴾: فعل مضارع، جذره اللّغويُّ (رغب)، وأصل الرّغبة: الإرادة، فإذا تعدّى الفعل (رغب) بحرف المجاوزة (عن) أفاد ترك الشّيء والإعراض عنه بشكل متعمّد، وهو المعنى المراد في الآية الكريمة، أمّا (رغب في)؛ فمعناه: أراد الشّيء وأحبّه ومال إليه.

2) ﴿مِّلَّةِ﴾: اسمٌ جذره اللّغويّ (ملل)، أو (ملو)، وأصله "يدُلُّ على امتدادٍ في شيءٍ زمانٍ أو غيره"[1].

والمِلّة معناها "الشّريعة والدّين (شريعةٌ تُمدّ، ويُزَوّدُ بها لإصلاح حال الخلق ومآلهم)"[2].

قال الإمام البغويّ: "والمِلّة بكسر الميم الدّين والشّريعة، وهي مجموع عقائد وأعمال يلتزمها طائفة من النّاس يتّفقون عليها، وتكون جامعة لهم كطريقة يتّبعونها"[3] وقد أضافها في الآية إلى إبراهيم عليه السلام، أي: دين إبراهيم وشريعته[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ملل).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤَصَّل: (ملل).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/693.
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/152.

3) ﴿سَفِهَ﴾: تعود معاني مادة (سفه) إلى الخفّة والسّخافة والطّيش والجهل ونقصان العقل[1].

قال الرّاغب: والسّفهُ "خِفّةٌ في البَدن، ومنه قيل: زِمامٌ سَفيهٌ كثيرُ الاضطراب، وثوبٌ سَفيهٌ رديءُ النّسج، واستُعمل في خفّة النّفس لنُقصان العقل، وفي الأمور الدُّنيويّة والأُخرَويّة، فقيل: سَفِهَ نَفسَهُ"[2].

ومعنى ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ في الآية ورد على عِدَّة أقوال؛ "قال ابنُ عبَّاسٍ: مَنْ خَسِرَ نَفسَهُ، وقال الكَلبيُّ: ضَلَّ مِنْ قِبَلِ نَفسِهِ، وقال أَبو عُبَيدَةَ: أَهلَكَ نَفسَهُ، وقال ابنُ كَيسانَ والزَّجَّاجُ: معناهُ جَهَّلَ نَفسَهُ، والسَّفاهَةُ: الجَهلُ وضَعْفُ الرَّأيِ"[3].

4) ﴿نَفْسَهُۥ﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ جذره اللّغويّ (نفس)، وأصله "يدُلُّ على خروج النَّسيم كيفَ كان، مِنْ ريحٍ أَو غيرها" وجاء في المقاييس: "والنّفسُ: الدَّمُ، وهو صحيحٌ، وذلك أَنَّهُ إِذا فُقِدَ الدَّمُ مِنْ بَدَنِ الإِنسانِ فَقَدَ نَفسَهُ"[4].

وهو شيءٌ "لطيف يسري في فُتُوقٍ أثناء الشّيء فيصلحه، ويتيح له التّصرّف، كالنّفَس في أثناء بدن الحيّ، فهو علامة حياته الّتي تتيح له التّصرّف"[5].

والنّفس يُعبَّر بها عن الإنسان، وهو تعبير مجازيّ.

5) ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: فعلٌ ماضٍ مزيد وزنه افْتَعَل (اصتفى) حصل فيه إبدال؛ فقُلِبت التّاء طاء للمجانسة الصّوتية، والجذر اللّغويّ (صفو) "الصَّفْو: ضدّ الكَدَر، صفا الماءُ يصفو صَفْواً، والاسم الصَّفاء، وفُلان صَفْوتي، أَي خِيرتي وخُلْصاني"[6].

والأصل في معناه أنّه "ضِدُّ الكَدَرِ؛ يُقالُ: صَفَا يَصْفُو، إِذا خَلَصَ، يُقالُ لك صَفْوُ هذا الأَمرِ وصفوَتُهُ، ومُحَمَّدٌ صَفْوَةُ اللَّهِ تعالى وخِيرَتُهُ مِنْ خَلقِهِ، ومُصطَفاهُ صلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلَّم"[7].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (سفه).
(2) الرّاغب، المفردات: (سفه).
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/152.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نفس).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (نفس).
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (صفو).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صفو).

"والاصطِفاءُ: تناولُ صَفْوِ الشّيءِ، كما أنّ الاختيارَ تناولُ خيره، والاجتباءَ تناولُ جبايته، واصطِفاءُ اللّهِ بعضَ عباده قد يكون بإيجاده تعالى إيّاه صافياً عن الشّوب الموجود في غيره وقد يكون باختياره وبحُكمه"[1].

"واستصفى الشّيء واصطفاه: اختاره كأنّه أخذه؛ لأنّه أصفَى جِنْسه أو أجوده، والمصطفى ﷺ صفوة اللّه من خلقه"[2].

ومعنى (اصطفيناه) في الآية: أي: اختار اللّه إبراهيم بالنّبوّة والحكمة من بين سائر الخلق[3].

6) ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾: اسم تفضيل للمؤنث من (دَنا يَدْنو)، فأصله (أَدْنَى دُنْوَى) زنة (أَفْعَل فُعْلَى)، مثل (أصْغر صُغرى)، ثمّ حصل فيه إعلال فصار (دُنْيا)، وجذره اللّغويّ (دنو)، والأصل في معناه "المقاربةُ، ومنْ ذلكَ الدَّنيُّ، وهو القريبُ، منْ دنَا يدنُو، وسُمِّيتِ الدُّنيا لدنوّهَا"[4].

ثمّ أصبحت لكثرة الاستعمال علمًا على الحياة الدّنيا دار الابتلاء، المقابلة للآخرة دار البقاء "وسُمِّيَت الدُّنيا؛ لأنَّها دَنَتْ وتأخَّرَتِ الآخِرةُ"[5].

7) ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: اسم مؤنث على زنة فاعل (أاخر) ثمّ صارتِ الهمزتان مَدّة، وهو للتّفضيل، جذره اللّغويّ (أخر)، والأصل في معناه "خلافُ التَّقَدُّم، وهذا قياسٌ أَخذناهُ عَنِ الخليلِ فإنَّه قال: الآخِرُ نَقيضُ المُتَقَدِّمِ، والأُخُرُ نقيضُ القُدُمِ، تقولُ مَضى قُدُمًا، وتَأَخَّرَ أُخُرًا"[6].

"والآخِرُ: بعدَ الأوّل، وهو صفةٌ، تقول: جاء آخِراً، أي: أخِيرًا، وتقديره فاعِل"[7].

ومعناه "يقابَلُ به الأوّل، وآخَرُ يقابَلُ به الواحد، ويُعبّر بالدّار الآخِرة عنِ النّشأة الثّانية، كما يُعبّر بالدّار الدّنيا عنِ النّشأة الأولى"[8].

(1) الرّاغب، المفردات: (صفو).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (صفو).
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/262.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دنو).
(5) الفراهيديّ، العين: (دنو).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخر).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (أخر).
(8) الرّاغب، المفردات: (آخِر).

8) ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جمع مذكر سالم مفرده صالح، والجذر اللّغويُّ منه (صلح)، والأصل في معناه دلالته على خلاف الفساد[1]، وأصلَحَ الشّيء: أقامه بعد فساد.

والصَّلاحُ والفساد مُختَصّان في أكثر الاستِعمال بالأفعال، وقُوبِل الصّلاح في القرآن تارةً بالفساد، وتارةً بالسّيّئة.

ومعنى ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في الآية: "أي: المشهود لهم بالثّبات على الاستقامة والخير والصّلاح"[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ومن يرغب عن دين إبراهيم عليه السلام ويُعرضُ عن ملّته السّمحة المستقيمة؛ فإنّه قد أهلك نفسه وخانها، وزاغ عن الصراط السّويّ وجهل في اختياره.

وملّة إبراهيم عليه السلام هي الطّريقة المستقيمة المُوَصِّلة إلى ربّ العالمين، ويدلّ على ذلك أنّنا اصطفيناه واخترناه لحمل رسالة التّوحيد في الدّنيا، وهو في الآخرة من الصّالحين المنعَّمين في الجنّات.

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ العدولِ من العطفِ بالفاء إلى الواوِ:

التّنويهُ بشأنِ ملّةِ إبراهيمَ في استقلالِها وخصوصيّتِها

اتِّصالُ قولِه تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ شديدٌ بين هذه الآية وما سبقها من آياتٍ، وهو اتّصالُ نتيجة بسبب، وحقّ الاتّصال بين هذين الجزأين أن يكون بالفاء، لكنّه "عَدَلَ مِنَ الفاء إلى الواو؛ ليكونَ مَدلولُ هذه الجُملةِ مُستَقِلّاً بنفسِه في تَكميلِ التَّنويهِ بشأنِ إبراهيمَ، وفي أَنَّ هذا الحُكمَ حَقيقٌ بملَّةِ إبراهيمَ مِنْ كُلِّ جهةٍ لا مِنْ خُصوصِ ما حكى عنهُ في الآيات السَّالفة"[3]؛ فتضمُّنُ الجملةِ المعانيَ السّابقةَ يُوقِعُها مَوقعَ النّتيجةِ؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلح).
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/388.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/724.

فيُستغنى ربطها بالفاء؛ ليكون حكماً مُستقلّاً من كلّ جهة على إبراهيم وملّته، وليس مُقيّدًا بما مضى من معانٍ إذا اقترنت بالفاء.

وثمّة معنى آخر، وهو وجود جملة معطوفة على ما سبق بالفاء، وهي المقابلة في المعنى لما هو مذكور، والتّقدير: (ربّنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمُهم الكتاب والحكمة ويُزكّيهم؛ فمن استجاب لهذا الرَّسول وآمن بدعوته فقد أفلح ونجا، ومن يرغب عن ملّة إبراهيم عليه السلام التي هي قوام رسالة محمد ﷺ وأساسُها فقد سفِه نفسه وخاب وخسر).

براعةُ النَّفي بأداةِ الاستفهامِ:

توبيخُ وتقريعُ كـلِّ راغــبٍ عن ملّةِ إبراهيم

ابتدأ الحقّ تبارك قولَه: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ بـ(مَنْ) الاستفهاميَّة، وهي "استفهامٌ بمعنى الإنكارِ؛ ولذلك جاءَتْ إلَّا بعدها؛ لأَنَّ المُنكَرَ مَنْفيّ"[1] والمعنى: لا يحيد عن الإسلام إلّا من خسر نفسَه، أو أهلكها، وفي هذا التّعبير تقريع وتشنيع، "والاستفهامُ للإنكارِ والاستبعادِ، واستعمالُهُ في الإنكارِ قد يكونُ مع جوازِ إرادَةِ قَصدِ الاستفهامِ؛ فيكونُ كنايةً ... فإنَّ الإعراضَ عَن مِلَّةِ إبراهيمَ مع العلمِ بفضلِها ووضوحِها أَمرٌ مُنكَرٌ مُستَبعَدٌ"[2]، وعبَّر بمَنْ الاستفهاميَّةِ عن معنى النَّفي؛ لإفادةِ التَّوبيخ والتّقريع، وليشملَ كلَّ من يرغبُ عن ملَّةِ إبراهيم، وهذا من بديع الاستعمالِ القرآنيِّ لأدوات الاستفهامِ في معنى النَّفي.

أثرُ الإعرابِ في الكشفِ عن جمالِ المجازِ:

تمكُّنُ السَّفاهةِ مـن صَاحِبِـهـا لتُصيِّرَه غارقًا في ظُلُماتِ القُبحِ

جاز في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ أن تكون ﴿نَفۡسَهُۥ﴾ منصوبةً على التّمييزِ "المُحَوَّل عَنِ الفاعِلِ، وأَصلُهُ سَفِهَتْ نَفسُهُ أي: خَفَّتْ وطاشَتْ، فَحُوِّلَ الإسنادُ إلى

(1) العُكبَرِيّ، التّبيان: 1/116.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/724.

صاحِبِ النَّفسِ على طريقةِ المجازِ العقليِّ؛ للمُلابسةِ قَصْدًا للمبالغةِ"[1] وكأنّ السّفاهة تمكّنت من صاحبها فامتزجت بالنّفس؛ لأنّ السّفهَ صفةٌ لصاحب النّفس وليس لها، ثمّ أصبح الفاعل منصوبًا على التّمييز، ولمّا "أُضافَ الفِعلَ إلى صاحِبِها خرجَتِ النَّفسُ المُفَسِّرَةُ؛ ليَعلمَ مَوضِعَ السَّفَهِ، كما يُقالُ: ضِقْتُ به ذَرْعًا، أي: ضاقَ ذَرْعي به"[2].

سرُّ توالي المؤكّداتِ في شأنِ إبراهيمَ:

تنزيلُ المُخاطَبِ غيرِ المتَّبعِ لملّةِ إبراهيم منزلةَ المُنكِر

توالتِ المُؤكِّداتُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهي: التّوكيدُ بـ(إنّ)، وتعريفُ المُسندِ إليه، ودخولُ اللّام على حرفِ الجرِّ، وتوالي التّوكيداتِ يدلُّ على تنزيلِ المُخاطبِ منزلةَ المُنْكِرِ؛ إذ من عَلِمَ اصطفاءَ اللّه له، ولم يتبعْه فكأنَّما أنكرَ أنَّه في الآخرةِ من الصّالحين، إذ مقتضى العلمِ العملُ، ومن لم يعمل بعلمِه يُنزَّلُ منزلةَ المُنْكِرِ.

يُضاف إلى ذلك أنّ قوله: ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ أبلغُ في الدّلالة على صلاحه واندراجه في زُمرة الصّالحين من التّعبير: (إنّه في الآخرة صالح)، وأين هذا التّعبير من سُمُوِّ لغة التنزيل؟!!!

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

اصطفَى واختارَ:

في قوله تعالى: ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ الفعل (اصطفى) من الجذر اللّغويّ (صفو)، و"أصل الصَّفَاءِ: خلوصُ الشّيءِ من الشّوب، ومنه: الصَّفَا، للحجارة الصَّافية"[3] أمّا الاختيار فمن (خير)، فالاختيار أن تختار من غير مُتشابهات، كأن تختار كتابًا من بين الكتب والأقلام والكرّاسات، أمَّا الاصطفاء فيكون بين أشياء مُتناظرة متشابهة كالآية وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: 33] فالاصطفاء هنا من بين البشر، وهم مُتناظرون.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/725.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/153.
(3) الرّاغب، المفردات: (صفو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»